٦

أنـــواع بحـــوث الاعـــلام

تمثل عملية تصميم البحوث الخطوة التالية لتحديد مشكلة البحث تحديدا دقيقا واضحا يجعل من السهل التعرف على نوع المعلومات المطلوبة.

ويقصد بتصميم البحث وضع وتحديد الإطار الذى يسمح بتجميع البيانات وتبويبها وتحليلها بالطريقة التى تؤدى إلى تحقيق أهداف البحث فى أقل قدر ممكن من الخطوات ، وبالتالى يمكن اعتبار هذا التصميم مشروعا متكاملا للبحث يتضمن نوع المعلومات والبيانات المطلوبة ، وطرق تبويبها وتحليلها لمعالجة المشكلة، مع تحديد مصادر الحصول على هذه البيانات ووسائل جمعها وتحليلها واستخلاص النتائج منها، وتستهدف هذه الخطوة أيضا التأكد من جمع البيانات الضرورية لتحديد المشكلة ووضع الاقتراحات والتوصيات المناسبة لمواجهتها بأكبر قدر ممكن من الدقة وبأقل تكلفة ممكنة.

وترتبط عملية تصميم البحوث أساسا بالهدف النهائى للبحث، وبنوع البيانات المطلوبة ، ودرجة وضوح المشكلة ، ومدى التعرف على الفروض المختلفة لها، ونوع النتائج التى يسعى الباحث للوصول إليها .

التصنيفات المختلفة للبحوث العلمية :

يدل استعراض مجموعة الدراسات الخاصة بطرق البحث ومناهجه فى العلوم المختلفة – وعلى الأخص العلوم الاجتماعية – على وجود عدة تصنيفات

مختلفة لنوعيات البحوث ، والملاحظ أن هذا الاختلاف يرجع إلى أن كل تصنيف منها يحكمه متغير مختلف عن المتغيرات التى تحكم التصنيفات الأخرى.

ويذهب بعض الخبراء إلى تقسيم البحوث طبقا للمجال العلمى الذى ينتمى إليه البحث (بحوث فى مجال العلوم الطبيعية ، بحوث فى مجال العلوم الاجتماعية، بحوث فى مجال الانسانيات)، بينما يذهب البعض الآخر إلى تقسيمها حسب الهدف النهائى من اجراء البحث (بحوث علمية بحتة، بحوث عملية تطبيقية)، أو على أساس الوسائل أو التكنيك المستخدم فى البحث (بحوث كمية، بحوث كيفية أو نوعية) أو طبقا للمنهج المستخدم (بحوث تستخدم المنهج التجريبى، أو التاريخى ، أو غيرها من المناهج) أو طبقا للمجال الذى تجرى فيه الدراسة (بحوث مكتبية أو وثائقية ، بحوث ميدانية ، بحوث تجريبية).

وباستعراض هذه التصنيفات نلحظ درجة كبيرة من التداخل بينها، وبالتالى عدم وجود تصنيف مستقل متميز يمكن الاعتماد عليه فى تقسيم البحوث، فمن الممكن مثلا ان تتداخل معايير المجال العلمى للبحث مع الهدف من اجرائه ، مع التكنيك المستخدم فى اجرائه ، مع منهجه والمجال الذى يجرى فيه، ذلك ان هناك بحوثا تطبيقية فى مجال العلوم الاجتماعية تستخدم الأسلوب الكمى والمنهج التجريبى وتجرى فى مجال ميدانى ، وهكذا يمكن ان نورد العديد من الأمثلة التى توضح مدى التداخل بين هذه التصنيفات المختلفة للبحوث، الأمر الذى يقودنا إلى محاولة الوصول إلى تصنيف أكثر شمولا يمكن أن تندرج تحته البحوث المختلفة بغض النظر عن طبيعة العلوم التى تنتمى اليها ، وعن المناهج والأساليب التى تستخدمها ، وعن المجالات التى تجرى فيها.

ويعتمد هذا التصنيف على معيارين أساسيين هما :

(١) طبيعة الاحتياجات البحثية المختلفة وهى التى يمكن ترجمتها إلى أهداف

أساسية للبحوث مهما تعددت مجالاتها أو اختلفت مناهجها ، وتمثل هذه الاحتياجات والأهداف المدخل الوظيفى Functional فى تصنيف البحوث.

(٢) مستوى المعرفة العلمية فى المجال الذى تجرى فيه البحوث، وما احرزه العلم أو التخصص من تقدم.

ومن حيث المعيار الأول وهو الأهداف العامة للبحث العلمى – فى مختلف الفروع والتخصصات والعلوم وباستخدام الأساليب والمناهج المختلفة – يمكن تحديدها فى أربعة أهداف رئيسية عامة هى :

١ – التعرف على ظاهرة ما ، أو الوصول إلى استبصارات جديدة عنها، اما بهدف الصياغة المحددة لمشكلة بحثية أو لتنمية فروض جديدة.

٢ – التعرف الدقيق على سمات وخصائص مجتمع معين أو موقف أو جماعة أو فرد معين ، سواء استعان الباحث بفروض مبدئية محددة أو لم يستعن.

٣ – تحديد تكرارات حدوث ظاهرة معينة أما مستقلة أو مرتبطة بغيرها من الظاهرات مع الاستعانة فى أغلب الحالات بفروض مبدئية محددة.

٤ – اختبار صحة فرض ما أو مجموعة من الفروض تدرس العلاقات السببية بين متغيرين أو مجموعة من المتغيرات.

أما من حيث المعيار الثانى وهو مستوى المعرفة العلمية فى التخصصات والعلوم المختلفة فاننا يمكن ان نحدده فى أربع مراحل مختلفة هى :

١ – مرحلة الغياب الكامل أو النسبى للبيانات والمعلومات المتعلقة بالظاهرات المختلفة أو ببعض الظاهرات التى يهتم الباحثون فى تخصص معين بدراستها، وتمثل هذه المرحلة البدايات الأولى للجهود البحثية فى هذا التخصص، ويبذل الباحثون فيها جهودا ارتيادية لاستجلاء الغموض الذى يحيط بالجوانب التى يتضمنها التخصص.

٢ - مرحلة توافر قدر كاف من البيانات والمعلومات عن هذه الظاهرات المختلفة، مع الغياب الكامل أو النسبى للاوصاف الدقيقة لها والحقائق المتعلقة بطبيعتها ، وكيفية حدوثها وأسبابه ، والعلاقات بين هذه الظاهرات المختلفة ، وتعتبر هذه مرحلة متوسطة فى تطور المعرفة العلمية فى مجال التخصص.

٣ - مرحلة توافر البيانات والمعلومات والأوصاف والحقائق الخاصة بالظاهرات المختلفة وكيفية حدوثها وأسبابه والعلاقات بينها، مع الغياب الكامل أو النسبى فى معرفة العلاقات السببية المتبادلة - من الجوانب الكمية والكيفية - بين المتغيرات المختلفة ، أى تأثير متغير معين فى متغير آخر أو فى مجموعة أخرى من المتغيرات وتعتبر هذه مرحلة متقدمة نسبيا فى تطور المعرفة العلمية فى ميدان التخصص.

٤ - مرحلة الضبط المحكم والقياس الدقيق لأثر المتغيرات المختلفة في حدوث الظاهرات التى يهتم الباحثون فى تخصص معين بدراستها، وتعتبر هذه المرحلة من أعلى المراحل التى تصل اليها الجهود البحثية فى هذا التخصص.

من هنا ، ومع الأخذ فى الاعتبار بهذين المعيارين الرئيسيين يمكن أن نحدد أنسب تصنيف للبحوث الاعلامية على النحو التالى :

١ - بحوث استطلاعية أو كشفية أو تمهيدية أو صياغية :

Exploratory or Discovery or Formulative

وهى التى تركز على اكتشاف الظاهرات أو الوصول إلى استبصارات بشأنها وبالتالى فهى تحقق الهدف الأول الداخل فى نطاق المعيار الأول، كما أنها تستخدم فى المراحل الارتيادية الأولى للبحث فى التخصصات المختلفة.

٢ - بحوث وصفية أو تشخيصية :

Descreptive or Normative

وهى التى تركز على وصف طبيعة وسمات وخصائص مجتمع معين أو موقف أو جماعة أو فرد معين ، وتكرارات حدوث الظاهرات المختلفة، وبالتالى فهى تحقق الهدفين الثانى والثالث فى نطاق المعيار الأول ، كما أنها تستخدم فى المرحلة المتوسطة من مراحل نمو المعرفة العلمية فى التخصصات المختلفة .

٣ - بحوث السببية أو بحوث اختبار العلاقات السببية بين المتغيرات أو الفروض :

Testing Casual Relationship of Hypotheses

وهى التى تركز على اختبار الفروض السببية بين متغير ومتغير أو مجموعة من المتغيرات المؤثرة فى حدوث الظاهرة التى تجرى دراستها، وبالتالى فهى تحقق الهدف الرابع والأخير فى نطاق المعيار الوظيفى للبحوث ، كما انها تستخدم فى كل من المرحلة المتقدمة ومرحلة النضوج العلمى من مراحل نمو المعرفة العلمية فى التخصصات المختلفة.

على أننا نود أن نشير إلى أن هذه الأنواع الثلاثة للبحوث تتداخل مع بعضها البعض أحيانا، بمعنى انه لاتوجد حدود فاصلة بين كل منها، فضلا عن امكانية استخدامها جميعا فى مختلف مراحل التطور العلمى فى العلوم المختلفة، أو فى عمل بحثى واحد .

ويوضح الشكل التالى الأنواع المختلفة للبحوث الاعلامية مقرونا بوظيفة كل منها ومدى ارتباطه بمراحل التطور العلمى المختلفة.

شكل رقم (٤)

الأنواع المختلفة للبحوث العلمية ووظيفة كل منها ومدى ارتباطها بمراحل التطور العلمي

ولما كان كل نوع من هذه البحوث ينطوى على مجموعة من التفصيلات الخاصة به فقد قمنا بتقسيم هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث يتناول كل مبحث منها أحد أنواع البحوث الاعلامية.

المبحث الأول
البحوث الاستكشافية أو الاستطلاعية

يهدف هذا النوع من البحوث إلى اكتشاف ظاهرة معينة أو مجموعة من الظاهرات والقاء المزيد من الضوء عليها أما بهدف تكوين أو تحديد مشكلة معينة بدقة قبل البدء فى دراستها، أو وضع مجموعة معينة من الفروض حول مشكلة محددة بغرض اختبارها ، ويمثل هذا النوع من الدراسات الخطوة الارتيادية الأولى فى عملية البحث العلمى حيث يستهدف تحديد المشكلة العلمية ومعالمها تحديدا تاما، وتكوين مجموعة من الفروض ذات الصلة المباشرة بكل مشكلة قبل البدء فى الدراسة ، بحيث تنتهى هذه الخطوة وقد أوضحت أهم المشكلات التى يجب أن تولي عناية خاصة، وأهم الفروض التى يجب أن توضع موضع البحث والتجربة فى البحوث المقبلة.

وترجع أهمية أجراء الدراسات الاستكشافية في مجال الاعلام إلى مجموعة من العوامل من أهمها :

١ - يعتبر علم الاعلام من العلوم الحديثة نسبيا إذا ماقورن بالعلوم الطبيعية مثلا، أو ببعض فروع الدراسات الاجتماعية والنفسية التى حققت درجة عالية من التقدم العلمى، ولكى تتقدم البحوث فى مجال الاعلام - وهو مجال بكر- فلابد أن تتلمس خطاها فى البداية حتي تصل إلى بلورة نظرياتها وصقل وسائلها وأدواتها فى البحث وهو مايتاح عن طريق البدء بالدراسات الاستكشافية.

٢ - تؤدى الدراسات الاستكشافية فى مجال الاعلام إلى امكانية اشتقاق مجموعة من المعايير التى تفيد فى التعرف على أهم ميادين المشكلات التى

ينبغى أن توجه إليها البحوث ، وفى المفاضلة بين البحوث المزمع اجراؤها سواء من حيث موضوعها أو أسلوبها فى البحث.

٣ - النقص الملحوظ فى البحوث التطبيقية والنظريات التى يمكن الاعتماد عليها بصفة أساسية فى تفسير الظاهرات وتحديد المشكلات التى تواجه مجالات الاعلام المختلفة بعكس الحال فى العلوم الطبيعية - حيث يعتمد الباحث على عدد وفير من النظريات العلمية والبحوث السابقة التى تمكنه من تكوين افتراضات تفسر الظاهرات موضع البحث بسهولة ودقة - ولهذا فان الدراسات الاستطلاعية تعتبر خطوة ضرورية للمساعدة فى وضع الفروض التى يمكن استخدامها كأساس فى بحوث اختبار العلاقات السببية ، كما يمكن ان يعتمد عليها الباحث فى جمع الحقائق والبيانات المتعلقة بالموقف حتى يمكن تحديد المشكلة بدقة والتعرف على الابعاد المختلفة لها ، وهى نوع الابعاد التى تتولى البحوث الوصفية وبحوث اختبار العلاقات السببية قياسها ودراستها بعد ذلك.

٤ - قلة عدد البحوث التى اجريت فى مجال الاعلام ، فضلا عن عدم تغطيتها للمجالات الاعلامية المختلفة ، مع اتسام بعض هذه البحوث بالصبغة الأكاديمية البحتة ، واتسام بعضها الآخر بالصبغة التطبيقية البحتة ، مما يخلق فجوة كبيرة بين النظرية والتطبيق فى مجال الاعلام من جهة ، ويؤدى إلى الافتقار الواضح فى البحوث العلمية التى تمزج بين المبادئ والأسس النظرية ومشكلات التطبيق الفعلى من جهة أخرى.

ومما لاشك فيه أن ذلك يكشف عن وجود مجالات عديدة مجهولة فى اطار الدراسات الاعلامية تحتاج إلى جهود بحثية لارتيادها والكشف عن طبيعتها، وهو الدور الذى تقوم به الدراسات الاستطلاعية فى مجال الاعلام.

٥ – وعلى الرغم من العدد الوفير من البحوث التى اجريت فى مجال الاعلام فى الخارج ، والنتائج الهامة التى توصلت اليها ، الا أن من الصعب استخدام مثل هذه النتائج فى مجتمعنا نظرا لاختلاف العدد الكبير من المتغيرات الحاكمة لدينامية العملية الاعلامية بين مجتمعنا والمجتمعات الأخرى، كالمشكلات البيئية والاجتماعية السائدة ، ومستويات التعليم والثقافة والمعيشة والاستهلاك، والظروف السياسية والاقتصادية ، وتأثير القيم الدينية والقيم الاجتماعية والعادات والتقاليد السائدة ، فضلا عن المتغيرات المرتبطة بطبيعة وسائل الاعلام والجوانب الفنية والتكنولوچية لها.

من هنا تبرز أهمية الدراسات الاستكشافية فى استخلاص مجموعة من المشكلات العلمية –على ضوء الدراسات والبحوث التى اجريت فى الخارج– والتى تحتاج إلى دراسات تطبيقية فى الدول العربية مع الأخذ فى الاعتبار بالظروف المحلية أو الوطنية السائدة فى كل دولة عربية بهدف اكتشاف عوامل الاختلاف والاتفاق بين النتائج التى انتهت اليها البحوث السابقة والنتائج التى تخلص اليها مثل هذه البحوث التطبيقية.

٦ – تداخل علم الاعلام مع العديد من العلوم الأخرى وتأثره بعدد كبير من النظريات السائدة فى هذه العلوم ، مما يزيد من أهمية الدراسات الاستكشافية فى القاء المزيد من الضوء على درجة التداخل النسبى – فى مشكلة معينة أو فى عدة مشكلات – بين الدراسة الاعلامية الخالصة والدراسات الأخرى كالدراسات الاجتماعية أو السلوكية أو الادارية أو الاقتصادية مما يفتح مجالات رحبة وآفاقا متسعة أمام الباحثين لدراسة الجوانب المتعددة للمشكلة دراسة شاملة مستفيضة دون اغفال أي جانب منها قد يؤثر على طبيعة النتائج والتفسيرات والتحليلات التى تنتهى إليها.

٧ - تتسم النسبة الغالبة من النظريات الاعلامية بأنها إما فضفاضة إلى الدرجة التى لاتسمح بدقة التفسير ومنطقيته ، وإما ضيقة جدا إلى الدرجة التى لاتسمح بتوجيه الباحث توجيها سليما فى اجراء بحوثه ، ومن هنا تتأكد أهمية الدراسات الاستطلاعية فى الكشف عن المزيد من المشكلات والفروض التى تمكن الباحثين الاعلاميين من سبر غور هذه النظريات سواء الفضفاضة أو الضيقة، والوصول إلى نظريات أكثر دقة وأكثر تحديدا وأكثر قابلية للتطبيق والتعميم.

وفى ضوء هذه الأهمية التى ذكرناها بالنسبة للدراسات الاستكشافية يمكن أن نحدد أهم وظائفها فيمايلى [١] :

١ - زيادة تعرف الباحث على الظاهرة أو الظاهرات التى يرغب فى دراستها في المستقبل دراسة دقيقة متعمقة ، أو تعريفه بالمجال الذى تجرى فيه الدراسة.

٢ - زيادة درجة ادراك الباحث للمشكلة التى يتصدى لدراستها وأهم المتغيرات المؤثرة فيها ، واكتشاف العلاقات بين تلك المتغيرات.

٣ - تحديد مشكلة البحث وصياغتها صياغة علمية دقيقة تعين الباحث على التخطيط لدراستها دراسة عميقة متكاملة، أى أن الدراسة الاستكشافية هنا تعين الباحث علي تخطيط معالم مشكلة غير محددة تماما.

٤ - التعرف على الفروض والاحتمالات التى يمكن اخضاعها للبحث العلمى الدقيق، ومحاولة التثبت من صحتها أو خطئها فى بحوث تالية.

٥ - توضيح المفاهيم المتعلقة بالمشكلة أو الظاهرة موضع الدراسة.

٦ - تجميع المعلومات الخاصة بالامكانيات العملية لاجراء البحوث وتنفيذها، واستطلاع حقيقة الموقف الفعلى الذى تجرى فيه الدراسة، ومدي الامكانيات العملية التى تيسر تنفيذ البحث أو تقف عائقا فى سبيل تنفيذه.

٧ – تحديد مجموعة من الموضوعات والمشكلات البحثية التى يراها الاخصائيون أنها جديرة بالبحث العلمى فى مجال معين.

٨ – تحديد أولويات البحث بالنسبة للبحوث المستقبلة .

من هنا يتضح أن الدراسات الاستكشافية تمثل الخطوة المبدئية فى عملية البحث، وفى نفس الوقت تعتبر أصعب خطوة فى العمل البحثى وعليها يتوقف نجاح الجهود البحثية فى مجال التخصص ، ذلك أن المناهج والأساليب الدقيقة التى يستخدمها الباحث فى الخطوة المتقدمة من بحثه لن يكون لها قيمة إذا استندت إلى بدايات خاطئة أو غير سليمة.

متطلبات الدراسة الاستكشافية :

لما كانت البحوث الاستكشافية تمثل الجهود البحثية الارتيادية فى مجال علمى معين يجهل الباحث الكثير عن طبيعته وعن الظاهرات التى يقوم بدراستها فى مجاله ، فان تصميم هذا النوع من البحوث يستلزم – من حيث تصميمه – درجة عالية من المرونة والشمول وعدم التحديد الدقيق ، ذلك ان الباحث – فى مثل هذا النوع من الدراسات – غير مطالب باختبار مدى صحة فروض معينة ، وانما يستهدف الحصول على نتائج كشفية تزيد من استبصاره ببعض الفروض أو الاحتمالات المتعلقة بالظاهرة التى يقوم بدراستها.

ولكى تحقق الدراسات الاستكشافية النتائج المستهدفة من اجرائها ينبغى على الباحث اتباع الأساليب التالية :

١ – مسح التراث العلمى فى الموضوع الذى يقوم بدراسته وذلك عن طريق الاطلاع على البحوث السابقة التى اجريت فى مجال بحثه وفى المجالات التى

لها صلة بالمشكلة [٢]، فالباحث فى مجال الاعلام يمكنه الاطلاع على البحوث الاعلامية التي اجريت - سواء فى الدول العربية أو فى الخارج - حول موضوع بحثه، بالاضافة إلى الاطلاع على بعض البحوث فى مجال الدراسات الاجتماعية والنفسية والتربوية والسياسية مثلا ، والتى يحتمل أن تكون قد تناولت بعض جوانب المشكلة التى يتصدى لدراستها من زوايا مختلفة ، على نحو ماعرضنا لذلك فى الجزء الخاص باختيار المشكلات العملية وتقويمها .

٢ - تحليل بعض الحالات المثيرة للاستبصار [٣] ، بهدف اكتشاف بعض المعالم أو الفروض التى يحتمل أن تكون متضمنة في المشكلة أو الظاهرة التى يقوم الباحث بدراستها.

٣ - الرجوع إلى الباحثين السابقين وذوى الخبرة العملية فى نوع الموضوعات التى يتصدى البحث لدراستها، وذلك بهدف تجميع الخبرات التى قد تكون ذات فائدة فى تمكين الباحث من التعرف على مختلف الجوانب العلمية والتطبيقية التى قد يتعرض لها فى دراسته.

ولاشك أن مجال الدراسات الاعلامية يزخر بالخبراء والمتخصصين فى مجالاته المختلفة سواء فى الصحافة أو الراديو أو التليفزيون أو فى الجوانب الفنية والتنفيذية التى تشملها وسائل الاعلام المختلفة كالتحرير والاخراج وتخطيط البرامج والاعداد والتحليل والاعلان والادارة والعلاقات العامة وغيرها من الجوانب العملية والتطبيقية المختلفة التى تتيح للباحثين الحصول على خلفية عملية متكاملة مؤسسة على خبرات وممارسات مهنية طويلة، وهو مايثرى هذا النوع من الدراسات الاستكشافية بعشرات المشكلات البحثية ذات الأهمية القصوى فى مجال الاعلام.

المبحث الثانى
البحوث الوصفية أو التشخيصية

بعد أن تؤدى الدراسات الاستكشافية دورها فى التعريف بأهم المشكلات والفروض الجديرة بالبحث ، تبدأ خطوة البحوث الوصفية التى تستهدف تصوير وتحليل وتقويم خصائص مجموعة معينة أو موقف معين يغلب عليه صفة التحديد، أو « دراسة الحقائق الراهنة المتعلقة بطبيعة ظاهرة أو موقف أو مجموعة من الناس أو مجموعة من الأحداث أو مجموعة من الأوضاع » (٤) ، وذلك بهدف الحصول على معلومات كافية ودقيقة عنها، دون الدخول فى أسبابها أو التحكم فيها ، وذلك بغض النظر عن وجود أو عدم وجود فروض محددة مسبقا – ذلك أن الدراسات الوصفية لاتتضمن بالضرورة فروضا سببية تخضع للاختبار والدراسة – كما قد تستهدف تقدير عدد مرات تكرار حدوث ظاهرة معينة ومدى ارتباطها بظاهرة أو مجموعة أخرى من الظاهرات.

وقد لاقى مفهوم الدراسات الوصفية فهما خاطئا لدى البعض الذين تصوروا أنها مجرد عملية جمع بيانات فقط لا لخدمة غرض علمى مباشر، وانما بهدف توفير البيانات لخدمة سائر الباحثين كما تفعل أجهزة الاحصاء الرسمية سواء على مستوى الدولة أو على مستوى القطاعات المختلفة.

والواقع أن قصر مفهوم الدراسات الوصفية على مجرد جمع البيانات الاحصائية وتوفيرها لخدمة سائر الباحثين يمثل نظرة جزئية إلى هذا النوع من البحوث التى لاتقف عند حد جمع البيانات وانما يمتد مجالها إلى تصنيف البيانات والحقائق التى تم تجميعها وتسجيلها، وتفسير هذه البيانات وتحليلها تحليلا شاملا واستخلاص نتائج ودلالات مفيدة منها تؤدى إلى امكانية اصدار

تعميمات بشأن الموقف أو الظاهرة التى يقوم الباحث بدراستها، وبناء أساس للحقائق التى يمكن أن تتبنى عليها فروض ايضاحية أو تفسيرية للموقف أو الظاهرة بما يسهم فى تقدم المعرفة.

ويمكن القول أن جزءا كبير من البحوث فى مجال الاعلام يعتبر من نوع البحوث الوصفية ، حيث يسعى الباحث فى مجال وسائل الاعلام كالصحافة والراديو والتليفزيون وغيرها من الوسائل الى التعرف على عدد القراء أو المستمعين أو المشاهدين بكل وسيلة ، وخصائصهم من حيث السن والجنس والدخل ودرجة التعليم ونوعيته ومستوى المعيشة والمهنة والقطاعات الوظيفية والمناطق الجغرافية التى يقطنونها، كما يسعى إلى التعرف على درجة تفضيلهم لكل وسيلة اعلامية على حدة ، ونوع الأبواب الصحفية أو البرامج الاذاعية أو التليفزيونية التى يفضلونها وأسباب هذا التفضيل ، وأنسب فترات الاستماع أو المشاهدة، ومدى التداخل فى قراءة وسماع ومشاهدة الوسائل الاعلامية المختلفة، وغيرها من البيانات ذات الصبغة الوصفية التى قد تفيد فى تخطيط النشاط الاعلامى عامة وفى كل وسيلة على حدة من ناحية ، وفى تعرف المعلنين – مثلا – على نوع الوسائل الاعلانية المناسبة لهم للاعلان بها من ناحية أخرى.

وينسحب ذلك أيضا على عدد كبير من بحوث الاعلان والعلاقات العامة والرأى العام والدوافع وكلها من ضمن مجموعة بحوث الاعلام بصفة عامة.

ويمكن أن نقسم البحوث الوصفية إلى خمسة أنواع ، لكل نوع منها خصائصه التى ترتبط بنوع الهدف المطلوب وذلك على النحو التالى :

١ – بحوث تستهدف وصف خصائص بعض الجماعات بصفة عامة، سواء من الناحية الديموجرافية أو الاجتماعية أو غيرها.

٢ – بحوث تستهدف التعرف على نوع معين من الجمهور يعتنق آراء معينة أو يتجه اتجاهات معينة ، أو يتصرف تصرفات معينة.

٣ – بحوث تستهدف التعرف على الأوصاف الدقيقة للظاهرة أو لمجموعة الظاهرات التى يقوم الباحث بدراستها من حيث ماهيتها وطبيعتها ووضعها الحالى والعلاقات بينها والعوامل المختلفة المؤثرة فيها.

٤ – بحوث تستهدف التنبؤ باحداث أو اتجاهات معينة.

٥ – بحوث تستهدف اختبار أو اكتشاف العلاقات بين المتغيرات المختلفة الواردة فى التفكير الأساسى للبحث.

أهمية تصميم البحوث الوصفية :

ولما كان من الضرورى فى حالة البحوث الوصفية الحصول على وصف كامل ودقيق للمشكلة، والتأكد من جمع كل البيانات الضرورية التى تكفل التعرض لها وتحليلها بأكبر درجة ممكنة من الدقة، وتفادى حدوث أى تحيز فى جمع هذه البيانات حتى تزيد درجة اعتمادية النتائج المستخلصة منها وامكانية انطباقها أو انسحابها على المواقف أو الحالات أو الأمثلة المشابهة ، وتجنب جمع البيانات غير الضرورية اختصارا للوقت والجهد والتكلفة باعتبار انها تتجه إلى الوصف الكمى أو الكيفى للظاهرات أو المواقف أو المجموعات المختلفة للتعرف على تركيبها وخصائصها، فان ذلك يتطلب ضرورة الاهتمام أساسا بالتصميم الشكلي أو الهيكلى لهذا النوع من البحوث ، كما يقتضى ضرورة الاهتمام بأسلوب التعبير عن البيانات الواردة بالبحث.

وعلى هذا الأساس اتجهت أغلب البحوث الوصفية إلى استخدام الأساليب الكمية Quantitative فى التعبير عن البيانات والنتائج الخاصة بها استنادا إلى وحدات قياس يمكن عدها وحسابها ، والاعتماد تماما على الطرق الاحصائية فى تبويب البيانات وجدولتها وتحليلها واستخراج المؤشرات التى تتضمنها.

وعلى الرغم من أهمية استخدام هذه الطرق الاحصائية والكمية فى عرض النتائج وأثرها فى تحقيق درجة كبيرة من التقدم فى ميادين التخصص المختلفة – خاصة تلك التى لم تحظ بتقدم علمى أو بحثى ملموس – على الرغم من ذلك فان من الضرورى ان يستخدم الباحث الأساليب الوصفية Qualitative جنبا إلى جنب الأساليب الكمية نظرا لما يؤدى إليه استخدامها من تعريفه بالعوامل الهامة التى يمكن أن تخضع للقياس الكمى مع تأكده من دقة الرموز اللفظية المستخدمة بحيث تحمل نفس المعنى بالنسبة لكل الدراسين فى تخصص معين.

المبحث الثالث
بحوث السببية
أو بحوث اختبار العلاقات السببية
بين المتغيرات والفروض

يستهدف هذا النوع من البحوث - على نحو ماذكرنا - اختبار الفروض السببية بين متغير ومتغير آخر أو مجموعة أخرى من المتغيرات التى تؤثر فى حدوث الظاهرة التى تجرى دراستها.

وعلى هذا الأساس فان هذا النوع من البحوث يحقق الهدف الرابع والأخير فى نطاق المعيار الوظيفى للبحوث على نحو ماعرضنا لذلك فى المدخل الخاص بهذا الفصل، كما أنه يرتبط بالمرحلة المتقدمة - التى تمثل مرحلة النضوج العلمى - من مراحل نمو المعرفة العلمية فى التخصصات المختلفة.

ويحتاج هذا النوع من البحوث نوع الاجراءات العلمية التى لاتؤدى فقط إلى تقليل التحيز وزيادة درجة اعتمادية النتائج المستخلصة كما هو الحال فى البحوث الوصفية ، بل التى تسمح أساسا باستنتاج نوع وطبيعة العلاقات السببية بين المتغيرات المختلفة التى تفسر سلوك الظاهرة موضع البحث.

وبالنظر إلى بعض المناهج المستخدمة فى البحوث الوصفية - كمنهجى الدراسات السببية المقارنة والدراسات الارتباطية - نجد أن الباحث يستخدمها لكى يصل إلى معرفة كيفية حدوث الظاهرة وأسبابها ، الا أن استخدام هذين المنهجين لايكفى لاستنتاج العلاقات السببية ، وانما يرشد الباحث فقط إلى وجود علاقات ترابطية بين ظاهرات معينة، ولكن لايعنى ذلك الارتباط - بالضرورة - أن احدى الظاهرات تسبب حدوث ظاهرة أخرى.

وهنا يكمن الفرق الأساسى بين أهداف بعض البحوث الوصفية، وأهداف بحوث اختبار العلاقات السببية من جهة، كما تكمن أيضا درجة التكامل بينهما من جهة ثانية.

ففى بعض البحوث الوصفية يسعى الباحث إلى جمع البيانات والمعلومات والأدلة التى تشير إلى وجود ارتباط بين متغيرات معينة والمتغير الذى تجرى عليه الدراسة ، والباحث فى مجال بحوث اختبار العلاقات السببية يستفيد من نتائج البحوث الوصفية فى صياغة الفروض السببية لبحثه والقيام بالاجراءات البحثية الخاصة باختبار مدى صحة هذه الفروض والانتهاء إلى نتائج – عن العلاقات السببية بين متغيرات معينة – يمكن تعميمها.

وفى الوقت الذى تعتبر فيه مشكلة « السببية » من أهم المشكلات التى تتصدى لها البحوث المتقدمة فى تخصص معين ، فانها تعتبر من أعقد المشكلات المنهجية فى العلوم الاجتماعية عامة وفى مجال الاعلام بصفة خاصة بعكس الحال فى العلوم الطبيعية ، ذلك أن المجال الذى يعمل فيه الاعلام يموج بالمتغيرات والعوامل والمسببات المتعددة للظاهرة التى يقوم الباحث بدراستها، مما يلقى مزيدا من الصعوبات بالنسبة لامكانية الوصول إلى الأسباب الحقيقية المؤدية إلى حدوث الظاهرة.

وعلى الرغم من أن بحوث اختبار العلاقات السببية تستخدم بعض المناهج مثل المنهج التاريخى ومنهج دراسة الحالات والمنهج التتبعى، الا أنها تعتمد بصفة أساسية على « المنهج التجريبى » نظرا لما تؤدى إليه نوع الاجراءات التجريبية من التحكم الدقيق فى المتغيرات المؤثرة فى الظاهرة وضبطها ، وقد أدى الارتباط الوثيق بين التجربة – كأداة – وبين بحوث اختبار العلاقات السببية، إلى اعتقاد بعض الباحثين بأن بحوث اختبار العلاقات السببية هى ذاتها بحوث تجريبية على

الرغم مما ينطوى عليه هذا الاعتقاد من خطأ ناتج من الخلط بين الوسيلة المستخدمة فى البحث – وهى التجريب – وبين وظيفة البحث وهدفه النهائى وهو التعرف على العلاقات السببية التى بنيت عليها الفروض السببية المصاغة أساسا فى البحث.

المحددات الأساسية للعلاقات السببية بين المتغيرات :

تتضمن الظاهرة التى يقوم الباحث بدراستها مجموعة من العوامل والعناصر المتفاعلة يطلق عليها « المتغيرات » Variables ، وتنقسم إلى ثلاثة أنواع هى :

١ – المتغير المراد قياسه ودراسة تأثير العوامل الأخرى عليه ويسمى "المتغير التابع أو المعتمد أو غير المستقل" Dependent Variable .

٢ – المتغير المراد قياس تأثيره على الظاهرة ويسمى « المتغير المستقل أو غير المعتمد أو التجريبى » Expremental or Independent Variable .

٣ – مجموعة من المتغيرات المتداخلة التى تؤثر فى الموقف ، وتسمى المتغيرات المتداخلة أو المعترضة Intervening Variables (٥) .

وتنبنى بحوث اختبار العلاقات السببية على أساس صياغة فروض مسببة تتصور وجود متغير أو متغيرات مستقلة تؤثر فى متغير تابع أو غير مستقل هو الظاهرة التى يقوم الباحث بدراستها.

وعلى هذا الأساس يحدد الباحث المتغيرات والعلاقات بينها تحديدا دقيقا على نحو مايوضحه الشكل التالى :

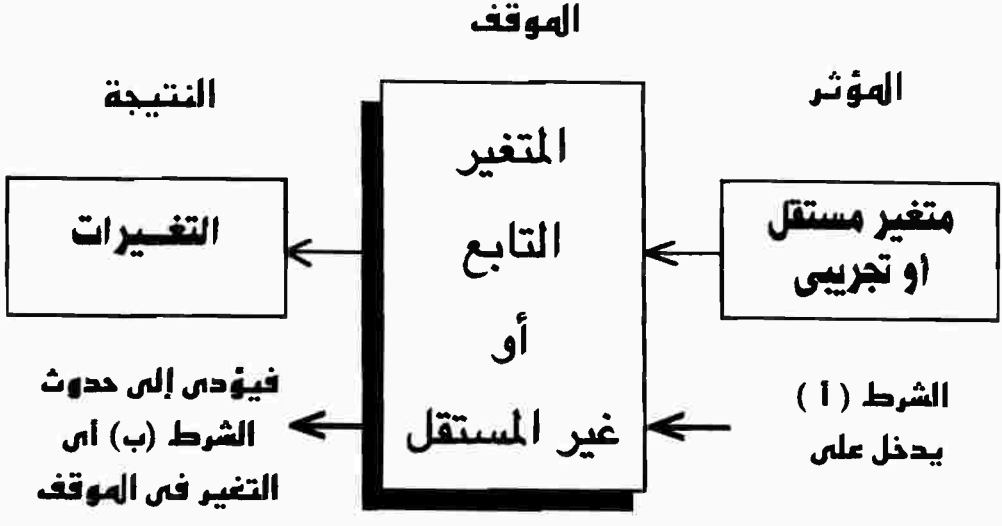

شكل رقم(٥)

العلاقة بين المتغيرات التابعة والمستقلة

ولكى يختبر الباحث صدق النتيجة المستنبطة من هذا الفرض يصمم البحث بطريقة تضمن ضبط جميع الشروط ماعدا المتغير المستقل أو التجريبى الذى يتناوله بالتغيير، ثم يلاحظ مايحدث للمتغير التابع كنتيجة للتعرض للمتغير المستقل.

ولكى يستدل الباحث على وجود علاقة سببية بين المتغيرين فانه يستخدم مجموعة المحددات الأساسية التالية (٦) لتحقيق هذا الاستدلال :

١ - التغير الاقترانى **Concomitant Variation**

وهو الذى يوضح مدى وجود تلازم فى الحدوث بين المتغير التابع والمتغير المستقل، كما أنه يحدد نوعية هذا التلازم وقوته .

ولتوضيح هذه النقطة يمكن أن نضرب مثالا عن العلاقة بين حجم المبيعات من سلعة معينة (متغير تابع) وبين الحملة الاعلانية عن هذه السلعة (متغير مستقل).

يقيس التغير الاقترانى هنا الزيادة فى حجم المبيعات بعد تنفيذ الحملة الاعلانية، وهل حدثت زيادة فى المبيعات - أساسا - أم لم تحدث ، ودرجة الزيادة التى تحققت فى حجم المبيعات نتيجة الحملة الاعلانية.

٢ - الترتيب الزمنى لحدوث المتغيرات :

لما كان من المنطقى أن الأثر دائما يكون نتيجة للسبب وبالتالى يأتى بعده فى التتابع الزمنى، فان المتغير المستقل (السبب) يجب أن يأتى فى الترتيب الزمنى سابقا على المتغير التابع (الأثر).

واستطرادا مع المثال السابق نجد أن من الضرورى لكى نتحقق من أن الحملة الاعلانية أدت إلى ترويج المبيعات أن نتأكد من أن الحملة الاعلانية بدأت أولا ثم اعقبتها الزيادة فى المبيعات.

ويلاحظ أنه فى بعض الظاهرات الاجتماعية غالبا مايتبادل طرفا العلاقة السببية وظيفتهما فى الموقف الواحد فيصبح الأثر سببا والسبب أثرا وهو مايسمى « بالعلاقات السببية التناسبية » [٧] الا أن من الضرورى أن يقوم الباحث بالتركيز على تأثير متغير معين على المتغير الآخر مع الأخذ فى الاعتبار - بالطبع - هذاالنمط من العلاقات التبادلية .

٣ - استبعاد المتغيرات السببية الاخرى المحتملة :

لما كان الموقف الاجتماعى يتأثر بالعديد من المتغيرات التى تسبب حدوث الظاهرة موضع البحث ، فيجب على الباحث - اذا ما أراد أن يقيس العلاقة

السببية بين متغيرين فقط - أن يدرس جميع العوامل السببية الأخرى التى يحتمل أن تكون ذات تأثير على المتغير التابع الذى يقوم بدراسته، ثم يقيس مدى تأثيرها على المتغير بحيث يتم استبعادها واحدة بعد الأخرى إذا ما ثبت عدم تأثيرها.

واستطرادا مع المثال السابق أيضا يمكن القول بأن هناك عدة عوامل يحتمل أن تكون ذات تأثير فى زيادة المبيعات وحدثت فى نفس التوقيت الذى بدأت فيه الحملة الاعلانية مثل :

- اختفاء بعض السلع المنافسة لها.
- وجود ظروف موسمية مواتية للاقبال على شراء السلعة.
- تخفيض سعر بيع السلعة.

وعلى الباحث فى هذه الحالة أن يتأكد من عدم حدوث هذه العوامل وغيرها من العوامل التسويقية الأخرى ويستبعدها حتى يستنتج صحة الفرض السببى المصاغ عن تأثير الحملة الاعلانية على هيكل المبيعات.

ويلاحظ أن هذه المحددات الثلاثة مترابطة معا ويجب أن تدرس كل منها فى اطار ماتدل عليه بقية المحددات حتى تعطى للباحث الأساس الامبيريقى الذى يمكن أن يستخدمه فى استنتاج العلاقات السببية المتضمنة فى الفروض المصاغة أساسا للبحث.

الصعوبات التى تصادف الباحث فى اجراء بحوث اختبار العلاقات السببية :

تواجه الباحث الذى يقوم باجراء بحث خاص باختبار العلاقات السببية - فى مجال الدراسات الاجتماعية والاعلامية بوجه خاص - عدة صعوبات يمكن تقسيمها إلى نوعيتين أساسيتين هما :

النوعية الأولى وهى: الصعوبات الناشئة عن تعقد المواقف الاجتماعية أو الظاهرات الاعلامية التى يقوم الباحث بدراستها.

فالعلوم الاجتماعية عموما والاعلام خاصة تقوم بدراسة مواقف متعددة الجوانب، وتتداخل فى احداثها مجموعة من المتغيرات بحيث يصعب على الباحث تحديد المتغير المستقل المسبب للموقف بشكل دقيق، فضلا عن عدم امكان السيطرة على جميع المتغيرات الهامة التى تؤثر على الموقف أو الظاهرة وابقائها ساكنة فيما عدا المتغير التجريبى، « ومهما بلغت قدرة الباحث ومهارته فى احكام خطته التجريبية للتحكم فى العوامل المراد معرفة تأثيرها فى ظاهرة ما، فهى ليست محصنة تماما ضد تسرب تأثيرات أخرى تخرج عن نطاق قدرته فى التحكم [٨] ».

النوعية الثانية: وهى الصعوبات التى قد تنشأ نتيجة عدم احكام ضبط العوامل المتداخلة فى اجراء البحث.

وفى هذا الصدد يواجه الباحث مجموعتين من هذه العوامل على النحو التالى:

(١) مجموعة عوامل مرتبطة بالمتغيرات الخاصة بالعينات التى يجرى عليها البحث، حيث يحتمل الا يتم انتقاء المجموعات التى تجرى عليها التجارب بطريقة يراعى فيها التماثل التام بين أفراد هذه المجموعات، ومن ثم لايمكن الحكم بأن المتغير التجريبى وحده هو الذى أدى إلى وجود فروق فى النتيجة النهائية للتجربة، إذ يحتمل أن تكون هناك عوامل مؤثرة فى أفراد المجموعات مثل عامل السن مثلا، أو درجة الذكاء، أو أرتفاع المستوى التعليمى أو الثقافى لأفراد مجموعة بالقياس إلى المجموعة أو المجموعات الأخرى، وتكون هذه العوامل ذات أثر واضح على نتائج التجربة وبالتالى يصعب التحديد الدقيق لأثر المتغير التجريبى وحده على المتغير التابع.

من هنا فان من أوجب الضرورات تحديد خصائص المبحوثين تحديدا دقيقا، وتقسيم الأفراد على مجموعات البحث بطريقة متماثلة متكافئة تضمن تماثل جميع العوامل المرتبطة بمتغيرات المجتمع الأصلى فى جميع أفراد المجموعات، وذلك حتى يتسنى للباحث أن يقدر - بشكل دقيق إلى حد كبير- أثر المتغير التجريبى على المتغير التابع.

(٢) مجموعة عوامل مرتبطة بالاجراءات البحثية ذاتها ، ذلك أنه على الرغم من تكوين مجموعات متماثلة الا أن عدم احكام الاجراءات البحثية والتجريبية أثناء القيام بالتجارب قد يؤدى إلى وجود فروق فى النتائج ليس مرجعها تأثير المتغير التجريبى وحده ، وانما ترجع أيضا إلى عدم إحكام الاجراءات البحثية، وتتمثل أبرز العيوب الناشئة فى مثل هذه الحالات فيمايلى :

* عدم اعطاء كل المجموعات نفس الدرجة من الاهتمام والتدقيق والتساوى فى متطلبات التجربة .

* استخدام مقاييس غير متماثلة فى قياس الآثار الناتجة عن تطبيق التجربة على المجموعات المختلفة.

* عدم تقدير أهمية العنصر الزمنى فى التأثير على نتائج التجربة، فعند مقارنة أسلوبين اعلاميين مختلفين على مجموعتين ، قد يتضح - فيما بعد - أن احدهما يؤتى آثاره الايجابية على الأجل الطويل ، بينما يعطى الآخر آثارا سريعة سرعان ماتتلاشى ، والحكم السريع فى هذه الحالة على نتيجة التجربة يعطى مؤشرات خاطئة لأن الباحث لم يدخل العنصر الزمنى فى حسابه، ولم يعط التجربة الوقت الكافى لابراز النتائج الفعلية الصحيحة.

* احتمال أن يكتشف المبحوثون الهدف النهائى من اجراء البحث، وبالتالى فقد يتصرفون بطريقة مختلفة عن سلوكهم الطبيعى سواء من الناحية

الايجابية أو السلبية وفقا لآرائهم واتجاهاتهم المسبقة بالنسبة لأهداف البحث مما يؤثر على النتائج النهائية للتجربة.

* قد يؤدى استخدام مجموعة بحثية أكثر من مرة إلى اكتساب أفرادها خبرة ومهارة وسرعة فى الاستجابة تعطى مؤشرات غير صحيحة إذا قيست بمعدل أداء أو استجابة مجموعة بحثية جديدة لم تشترك فى التجارب .

* كما قد يؤدى استخدام مجموعة بحثية أكثر من مرة فى قياس تأثير متغير تجريبى معين إلى صعوبة الحكم بعد ذلك على أثر هذا المتغيرالتجريبى، نتيجة الآثار التراكمية للخبرة المكتسبة لهذه المجموعة من خلال التجارب السابقة التى اشتركت فيها ، ففى حالة قياس أثر استخدام أساليب ووسائل اعلامية متنوعة في اكساب المعارف والمعلومات العامة، واستخدام أكثر من أسلوب ووسيلة اعلامية بالنسبة لمجموعة واحدة يصبح من الصعب معرفة أثر الأسلوب والوسيلة الثانية منفردا نظرا لاحتمال وجود تأثير تراكمى لدى هذه المجموعة نتيجة استخدام الأسلوب والوسيلة الأولى.

هوامش الفصل السادس ومراجعه :

(١) انظر المراجع التالية :

- محمد زيان عمر - مرجع سابق ، ص ١٣١.
- نجيب اسكندر وآخرون ، مرجع سابق ، ص ١٩٥.
- C. Seltez, et al., op. cit., p. 51.

(٢) كمثال على خطوة مسح التراث العلمى فى أحد مجالات الاعلام يمكن الاشارة إلى المؤلف الذى وضعته الجمعية الدولية للدراسات والأبحاث عن الاعلام تحت اشراف « ويلبور شرام » بعنوان

«تأثير التليفزيون على الأطفال والمراهقين» وقد قام بترجمته إلى العربية « المهدى النبوى وزكى مبارك » ونشرته اللجنة الوطنية المغربية لليونسكو بمساعدة منظمة اليونسكو عام ١٩٦٥ ويضم مجموعة البحوث والدراسات التى أجريت فى مختلف دول العالم عن تأثير التليفزيون على الأطفال والمراهقين.

(٣) أنظر المراجع التالية :

- C. Seltez, et al., op. cit., p. 53.

- عبد الباسط حسن ، مرجع سابق ، ص ٥٢٥.

- نجيب اسكندر وآخرون ، مرجع سابق ، ص ١٩٠.

(4) F.L. Whitney, The Elements of Research (New York : n.p., 1946), p. 153.

(٥) محمد زيان عمر ، مرجع سابق ، ص ١٠٠.

(٦) انظر المرجعين التاليين :

- C. Seltiz, et al., op. cit., pp. 90 - 108.

- جمال زكى ، السيد يس ، أسس البحث الاجتماعي ، (القاهرة : دار الفكر العربى ، ١٩٦٢) ص ١١٤ - ١٢١.

(٧) جمال زكى ، السيد يس ، مرجع سابق ، ص ١١٨.

(٨) محمد زيان عمر ، مرجع سابق ، ص ٩٨.